بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات ضبط المفاهيم والخصائص

Pedagogy Approach To Competencies Set Concepts And Properties

أ.بكيري لخضر

جامعة الدكتور الطاهر مولاي– سعيدة، الجزائر.

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

زحاف الجيلالي

الملخص:

يأتي التدريس بالكفاءات كنموذج إصلاحي جديد يهدف إلى تعديل النموذج السابق الذي انتهجته وزارة التربية الجزائرية قصد ترميم التصدعات التي حدثت في هذا الأخير وقصد إدماج المعارف والعلوم المكتسبة في الواقع الملموس والاستفادة منها في الحياة الفعلية لذلك سنناقش في هذا البحث مدى نجاعته و نهوضه بالعملية التعليمية التعلمية، وكذا إنتاج متعلم كفء قادر على حل الوضعيات والمساهمة في حلها.

الكلمات المفتاحية: تعليم، تعلم، كفاءة، مقاربة، تربية، قدرة، مهارة.

Summary:

Teaching comes with competencies as a new reform model that aims to amend the previous model adopted by the Algerian Ministry of Education with the aim of repairing the cracks that occurred in the latter and with the aim of integrating the knowledge and science acquired in concrete reality and benefiting from them in real life. Therefore, we will discuss in this research the extent of its effectiveness and its advancement in the educational learning process, As well as producing a competent learner who is able to solve situations and contribute to solving them.

key words: Teaching, learning, competence, approach, education, ability, skill.

I. مفهوم الكفاءة:

لقد أصبح مصطلح الكفاءة متداولا في مجال التربية، وقبلها مجال التكوين المهني، كما فرضت نفسها في كل الميادين لا سيما العسكرية منها، واعتمدتها معظم البلدان في أنظمتها التربوية مسايرة لمقتضيات التحولات المختلفة وروح العصر.

1) مفهوم الكفاءة عند عامة الناس:

يعني لفظ الكفاءة في معناه البسيط الجودة في العمل التي تقر بوجودها عند الشخص بعد انتهائه من عمل طلب منه القيام به، إلا أنه ليس من قبيل الصواب أن نحكم على جودة عمل ما من خلال معاينة سلوك واحد أو حتى مجموعة مصغرة من السلوكيات التي يتطلبها هذا العمل أو ذاك[1]. فالجودة تعني فعالية واستمرارية في الأداء، كما أنها تعني عدم وجود فارق ذي دلالة بين العمل المنجز والنتيجة المنتظرة، ومن هنا فإن حكم عامة الناس عن الجودة أو الكفاءة يصدر على العمل في شموليته أي بعد استكماله، وبالتالي يمكن القول بأن الكفاءة هنا هي مفهوم شمولي، لا تتحدد فيه معايير الإنجاز بشكل واضح، فهذا الحكم هو حكم على جودة العمل فقط، ونحن نعلم أن مفهوم الجودة يبقى مفهوما نسبيا لأن عامة الناس قد يختلفون في تحديد شروطها ومواصفاتها ومعاييرها.

إضافة إلى ذلك، يتعلق الحكم الذي يصدره عامة الناس على الكفاءة، بالإنجاز كاملا وليس بجزئية من جزئياته، فأنت لن تقول عن مصلح لجهاز التلفزيون: " إنه يمتلك كفاءة في هذه المهنة". إلا إذا أصلح لك جهازك الذي أعطيته إياه، وتقول ذلك دون أن تلاحظه يؤدي عملية الإصلاح ودون إلزامه بشروط تشكل معايير إصلاح جهازك.

هكذا يمكن اعتبار أن مفهوم الكفاءة عند عامة الناس يتميز بغموضه ومهما يكن، فإن تصور العامة للكفاءة ليس خاطئا جملة وتفصيلا، لأن ما هو أكيد هو أن الحكم على امتلاك الكفاءة أو عدم امتلاكها، ليس ممكنا إلا بعد الانتهاء من القيام بالمهمة التي تتطلبها هذه الكفاءة.

إذا كان تصور عامة الناس للكفاءة يتصف بالشمولية ويركز على الجودة في العمل كمعيار للحكم على وجودها أو على عدم وجودها لدى الفرد، فإننا لا نستطيع من حيث المبدأ على الأقل اعتبار هذا التصور ملائما بشكل يعكس المعنى الحقيقي لما نسعى إلى بلوغه بخصوص الكفاءة في ميدان التربية والتعليم، ولذلك سننتقل إلى البحث في الدلالات والمعاني التي يحملها هذا اللفظ لغة واصطلاحا .

- فماذا يعني هذا المصطلح؟
- وما أسس بناء الكفاءات؟ وما مستوياتها ؟

2) مفهوم الكفاءة :

أ) لغة :

ورد في لسان العرب' كفأ كافأه على الشيء مكافأة وكفاء، جازاه تقول مالي به قبل ولا كفاء أي ما لي به طاقة على أن أكافئة[2]، وقول حسان بن ثابت: "وروح القدس ليس له كفاء" أي جبريل عليه السلام ليس له نظير ولا مثيل، ويقال من يكافئ هؤلاء، وفي حديث الأحنف لا أقاوم من لا كفاء له، والكفيء النظير، وكذلك الكفء والكفوء على فعل فعول والمصدر الكفاءة بالفتح والمد، وتقول لا كفاءة له بالكسر وهو في الأصل مصدر أي لا نظير له، والكفء النظير والمساوي، ومنه الكفاءة في النكاح، وهو أن يكون الزوج مساويا للمرأة في حسبها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك، وتكافأ الشيئان تماثلا، وكافأه مكافأة وكفاء ماثلة، وهذا كفاء هذا وكافأته وكفيته وكفؤه بالفتح، أي مثله يكون هذا في كل شيء، وقال الزجاج[3] في قوله تعلى : { لم يكن له كفؤا أحد}، أربعة أوجه القراءة منها ثلاثة كفؤا بضم الكاف والفاء، كفأ بضم الكاف واسكان الفاء، وكذا بكسر الكاف وسكون الفاء وقد قرئ بها، وكافء يكسر الكاف والمد ولم يقرأ بها ومعناه لم يكن أحد مثلا لله تعالى.

والكفاءة في العمل هي القدرة عليه وحسن التصرف فيه، ولفظة الكفاءة مولدة، ذات أصل لاتيني تقابل (compétence) وقد ظهرت في أوائل النصف الثاني من القرن العشرين في اللغات الأوروبية بمعان متعددة ومختلفة. كما نجد في قاموس متن اللغة لأحمد رضا، فعل "كفي" ومن كفاه الأمر كفاءة: قام به واضطلع، فهو كاف جمع كفاة، والكفاءة أي ما سد به الخلة (الحاجة) وبلوغ المراد.

ب) اصطلاحا:

يكتنف مفهوم الكفاءة الكثير من الغموض والاختلاف، وقد ذكر العديد من الباحثين في هذا الإطار[4] أنه يوجد أكثر من مئة تعريف لمفهوم الكفاءة، وهذا حسب السياق الذي تستعمل فيه والذي يهم البحث هو مفهوم الكفاءة في المجال التربوي، فإذا كان اصطلاح المنظومات التربوية يهدف إلى تحديد غايات التعليم حتى تكون أكثر ملاءمة لحاجيات الأفراد والمجتمع، وإلى تحقيق أهداف التكوين و استخدام أنجع الوسائل وأحسن الطرائق، إذ تبنت مقاربة الكفاءات وزارات التربية لدول العالم واتخذت منها استراتيجية لكونها تسعى إلى ترقية التعليم وتفعيل التعلم وتحديثهما فضلا عن أخذها بعين الاعتبار ضرورة الجمع بين المعارف والقدرة على تحويلها وتجنيدها وإدماج المتعلم من جهة أخرى. وعليه نذكر بعض التعاريف لهذه الاستراتيجية على سبيل المثال لا الحصر.

1. الكفاءة نظام معارف تصويرية وأدائية منظمة وفق تصميم عملي داخل عائلة وضعيات[5]

2. الكفاءة عبارة عن هدف تكويني يستلزم تحقيقه إدماج وليس تراكم نواتج تعلم سابقة.

3. الكفاءة عبارة عن مكتسب شامل يدمج قدرات فكرية ومهارات حركية ومواقف ثقافية واجتماعية أي مجموعة متكاملة من المعارف والقيم تسمح بالممارسة اللائقة والفعالية لدور ما أو وظيفة أو نشاط.

4. الكفاءة عبارة عن نسق منتظم وشامل لمعارف تصورية وإجرائية تستخدم من خلالها قدرات في حقل معرفي معين، تسمح نواتج التعلم هذه بالتعرف على وضعية إشكالية من بين عائلة من الوضعيات[6] والتمكن من حلها.

5. الكفاءة المكتسبة في المدرسة تمكن الطفل أو المتعلم من حل وضعيات إشكالية تعترضه في الحياة اليومية.

6. الكفاءة مجموعة من التصرفات الاجتماعية، الوجدانية، ومن المهارات المعرفية والمهارات النفسية والحس حركية التي تمكن من ممارسة دور ما أو وظيفة ما، أو أي نشاط ضمن مهمة أو عمل معقد، وذلك على الوجه الأكمل.[7]

7. الكفاءة مجموعة من المعارف والقدرات الدائمة والمهارات المكتسبة عن طريق استيعاب معارف وجيهة، وخبرات مندمجة فيما بينها داخل مجال معين.[8]

8. الكفاءة من منظور مدرسي هي مجموعة مندمجة من الأهداف المميزة التي تسخر مجموعة من القدرات والمهارات والمعارف المستعملة بفعالية في وضعيات مشكلة، وظروف متنوعة لم يسبق للمتعلم أن مارسها، تتحقق في ختام فترة تعليمية أو مرحلة دراسية[9] وتظهر في صيغة وضعيات تواصلية دالة لها علاقة بحياة التلميذ.

9. الكفاءة التربوية هي مجموعة المعارف والمفاهيم والمهارات يكتسبها المتعلم نتيجة إعداده ورعايته في برنامج تعليمي معين، توجه سلوكه[10] وترتقي بأدائه إلى مستوى من التمكن، وتسمح له بممارسة مهنته بسهولة ويسر من دون عناء.

II. مفهوم الكفاءة في معاجم التربية والتعليم خاصة:

1) تعريف معجم مصطلحات علوم التربية:

لا يقدم هذا المعجم تحديدا للفظ الكفاءة إلا من خلال ربطه بالعملية التواصلية، والكفاءة التواصلية، والكفاءة التواصلية عند أصحاب هذا المعجم تترجم معرفة الفرد بقواعد اللغة في سياق اجتماعي قصد أداء نوايا تواصلية مع الآخرين..

أ) تعريف فرنسوا رينال وآلان ريني:

الكفاءة عند هذين الباحثين تعتبر «مجموعة السلوكيات الممكنة (وجدانية، معرفية وحسية وحركية) التي تسمح للفرد بممارسة نشاط، غالبا ما يعتبر كنشاط مركب»[11]

ب) . تعريف فيليب بيرونو:

يرى هذا الباحث أن الكفاءة هي «قدرة الشخص على تفعيل موارد معرفية مختلفة لمواجهة نوع محدد من الوضعيات»[12] ويرى بيرونو أن للكفاءة أربعة جوانب أساسية هي:

- الكفاءات ليست في حد ذاتها معارف أو مهارات أو مواقف، لكنها تدمج وتنسق بين هذه العناصر جميعا.

- ليس لتفعيل هذه الموارد أي معنى إلا في إطار وضعية معلومة، وكل وضعية تعليمية/ تعلمية تتميز بمفرداتها مقارنة مع غيرها من الوضعيات.

وما يستخلص من البحث في هذه التعريفات وغيرها، أن الكفاءة أعلى مستوى من المهارات والمعارف التي باتحادها وتضافرها تشكل القاعدة الصلبة لبناء هذه الكفاءة، و أن جلها إن لم نقل كلها تشكل العناصر الأساسية التي تحدد الكفاءة. حيث إن الكفاءة لا بد لها أن تدمج عدة مهارات ومعارف وتترجم نشاطا قابلا للملاحظة، كما يمكن للكفاءات أن تطبق في ميادين مختلفة منها: الشخصية أو الاجتماعية أو المهنية.

2) خصائص الكفاءة:

إن أهم ما يميز الكفاءة المكتسبة هو جملة من الخصائص أهمها.[13]

أ: توظيف الموارد: إن الكفاءة عموما تتطلب تسخير مجموعة من الإمكانات والموارد المختلفة كالمعارف العلمية والتجارب الذاتية والقدرات والمهارات السلوكية.

ب: الغائية والنهائية: تسخير الموارد لا يتم عرضا بل يكسب الكفاءة وظيفة اجتماعية ونفعية ذات دلالة بالنسبة للمتعلم الذي يسخر مختلف الموارد لإنتاج عمل ما، أو حل مشكلة في حياته المدرسية أو الحياة اليومية.

ج. خاصية الارتباط: حيث يتم ذلك بجملة من الوضعيات ذات المجال الواحد، إذ أن تحقيق الكفاءات لا يحصل إلى ضمن الوضعيات التي تمارس في ظلها هذه الكفاءة، فمن أجل تنمية كفاءة ما لدى المتعلم يتعين حصر الوضعيات التي يتم من خلالها تفعيل الكفاءة المقصودة.

د: تعلق الكفاءة بالمادة: في أغلب الأحيان توظف الكفاءة معارف ومهارات معظمها من المادة الواحدة، وقد تتعلق بعدة مواد، أي أن تنميتها لدى المتعلم تقتضي التحكم في عدة مواد لاكتسابها مثل كفاءة التعبير الشفوي، تقتضي مهارات لغوية عديدة غير التعبير في حد ذاته، كالتحكم في النحو، والصرف والكتابة والمطالعة.

هـ. القابلية للتقويم:

تتميز الكفاءة بإمكانية تقويمها بناء على النتائج المتواصل إليها لأن صوغها يتطلب أفعال قابلة للملاحظة و القياس، عكس القدرات، إن تقييم الكفاءة يتطلب وضع المتعلم في إشكالية تتطلب دمج و تسخير مجموعة من الموارد التي تعرف بمركبات الكفاءة وهي:

1: المحتوى (contenu): ويكمن في الأشياء التي يتناولها المتعلم وقد حصرت في ثلاثة أنماط من الأشياء وهي: المعارف المحصنة (النظرية) كمعرفة قاعدة نحوية (معرفة صرفة) و المعارف الفعلية (المهارات)،كاستعمال مفردات في وضعيات مناسبة ثم المعارف السلوكية (المواقف) كالتركيز من أجل تجاوز صعوبات الاستعمال (سلوك).

2: القدرة (capacité): هي كل ما يجعل الفرد قادرا ومؤهلا لفعل شيء ما، والقيام به، أو إبداء سلوكات تتناسب مع وضعية ما غير مرتبط بمضامين نشاط تعلمي معين، بل يمكن أن تبرز في أنشطة مختلفة، كالقدرة على تعريف الأشياء أو على المقارنة بينها، والقدرة على التحليل والاستخلاص، كل هذه النشاطات عبارة عن قدرات، كما تتشكل القدرة من الذكاء وفق استعدادات فطرية ومكتسبات حاصلة في محيط معين[14] وتتميز القدرة بخصائص أربعة وهي:

- استعراضية قابلة للتوظيف في موارد مختلفة ومتعلقة بمواد دراسية.
- تطورية: تنمو وتتطور وقد تنقص مثل القدرة على التركيز.
- تحولية: تتحول وتتكيف من حال إلى آخر وفق الوضع والسياق (التفاوض: الكلام + الاستماع+ البرهنة)
- غير قابلة للتقويم: يتعذر الحكم فيها بدقة.

3: الوضعية: (situation):

هي الإشكالية التي يتم تحديدها ورسمها لمساعدة المتعلم على توظيف ما لديه من إمكانات، تجعله دوما في موقع العمل الفاعل والنشاط الدؤوب والمستمر، كما أنها تضفي على المادة التعليمية الحيوية والفائدة، وتكون الوضعية ذات دلالة[15] إذا وفقط إذا:

- كانت تمكن المتعلم من أن يستفيد من معارفه في معالجة واقعه المعيش.
- كان يشعر بفاعليتها وجدواها في علاج عمل معقد (مشكل).

- كانت تسمح بتفعيل إسهامات مختلف المواد (الإدماج) في حل مشاكل معقدة.

3) بين القدرة والكفاءة:

تشكل كل من القدرة والكفاءة أهم أقطاب نظام التطوير الاستراتيجي لمقاربة العمل البيداغوجي المستحدث في مجال التعليم المدرسي: وثنائية القدرات والكفاءات ضمن هذه الأطر تتفاعلان بانسجام في مسار متكامل رغم ما يبدو عليهما من تداخل في المفهوم والمصطلح اللذين قد يصعبا أمر التفريق بينهما أحيانا، وحتى تتمكن من فك اللبس بينهما تجرى مقارنة سريعة بين القدرة والكفاءة من حيث الخصائص والمميزات[16]:

القدرة	الكفاءة
تتفاعل كل منهما في علاقة داخلية وخارجية – كلاهما استعراضية – كلاهما قابلة للأجرءة–تتأثران بالبيئة التعليمية الداخلية والخارجية – تؤثران في البيئة المدرسية والمحيطة	
■ تمثل الأساس. ■ مسار نمو عام. ■ مكون طبيعي ومعرفي. ■ القدرة تنمو. ■ تنمو بتوالد الكفاءات. ■ غير مرتبطة بالزمن. ■ تنمو طبيعيا وتعلميا. ■ (مؤثرات داخلية وخارجية). ■ مواردها مضامين معرفية وكفاءات. ■ غير قابلة للتقويم المباشر. ■ تندمج داخل نفس المجال وخارجه.	■ تمثل البناء. ■ مسار تكوين خاص. ■ مكون معرفي (أدائي). ■ الكفاءات تتركب. ■ تتركب بنواتج التعلمات. ■ مرتبطة بالزمن أحيانا. ■ تتكون تعلميا (مؤثرات خارجية فقط). ■ مواردها مضامين معرفية مختلفة ■ مواردها مضامين معرفية مختلفة. ■ قابلة للتقويم بمؤثرات سلوكية ■ تندمج في علاقة داخلية لمجال نفسه وخارجية.

▪ توظف لممارسة تعلمية واجتماعية. ▪ متعددة المجالات النمائية. ▪ نموها غير منته (مستمر). ▪ تضمر بعدم تنميتها وتوظيفها.	▪ تؤدي ممارسة تعلمية واجتماعية. ▪ متعددة المصادر. ▪ غايتها متنامية. ▪ تتلاشى وتزول بعدم توظيفها بالإهمال والنسيان.

4) الكفاءة وأهداف التعلم:

إذ كانت الكفاءة هي مجموعة القدرات الفعلية التي تستند إلى معارف (محتويات ومضامين دراسية) ومعارف فعلية (فكرية أو نفسي حركية) ومعارف سلوكية (اجتماعية / وجدانية) فإن أهداف التعلم توضح ماهية المعارف التي إذا تحكم فيها المتعلم برهن على كفاءته، ومقياس النجاح في ذلك كله يستند إلى قابلية الملاحظة والقياس والإنجاز في وضعيات التعلم.

وقد عرف (popham) الهدف: "هو ما ينبغي أن يعرفه التلميذ أو يكون قادرا على فعله أو تفضيله أو اعتقاده عند تعلم معين أنه يتعلق بتغيير يريد المدرس إحداثه لدى التلميذ والذي يوصف بصيغة سلوك[17] وللأهداف التعليمية مستويات يقسمها لويس دينو (d'hainaut louis) إلى خمس مستويات هي:

- مستوى الغايات.
- مستوى المرامي.
- مستوى الأهداف العامة.
- مستوى الأهداف الخاصة.
- مستوى الأهداف الإجرائية.[18]

5) مؤشرات الكفاءة والهداف الاجرائي:

ضمن المقاربة بالكفاءات، يعتبر السلوك الملاحظ والقياس من أدوات تحديد مؤشر الكفاءة ومعاير التقويم، فمفهوم المؤشر هنا يمكن الاستدلال عليه من خلال الهدف الإجرائي(objectif operationnel) وهو تلك الصيغة اللغوية التي تتضمن فعلا سلوكيا، وتكون تلك الصيغة اللفظية مشتقة من مستوى الأهداف العامة المعبر عنها في البرنامج التعليمية المقررة بالإضافة إلى أنها تكون واضحة في جميع مكوناتها وقابلة للملاحظة والقياس، ومتوفرة على شرط أو شروط لإنجاز، ويمكن انطلاقا من هذه المواصفات التحقق من بلوغه عند المتعلم في نهاية حصة دراسية، كأن يكون هدف الحصة: أن يكون المتعلم قادرا على تأليف جملة فعلية دون خطأ، وفي ظرف خمس ثواني.

أما مؤشر الكفاءة (indicateur de compétence) فهو العلامة أو النتيجة الدالة على حدوث فعل التعلم وفق مستوى محدد مسبقا، ومن خلاله يمكن الحكم على مدى تحقق الهدف من فعل التعلم من عدمه، فهو بهذا يعتبر المقياس الذي يترجم مدى تحكم المتعلم في الكفاءات المكتسبة، وإبراز مقدار التغير في السلوك بعد تعلم ما، ويتعلق بالأفعال القابلة للملاحظ والقياس.[19]

والهدف الإجرائي في بيداغوجية الكفاءات يؤدي وظيفة انتقالية، ويصاغ بكيفية سلوكية، وهو يستخدم لمعالجة العناصر الفرعية وتفاصيل موضوع التعلم، ويدخل ضمن آفاق تنمية قدرة أو بناء كفاءة ما، أو تدقيق مؤشر كفاءة معينة، أما المؤشر فهو يعد مقياس السلوكات المؤداة من قبل المتعلم ويترجم مدى تحكمه في الكفاءة المكتسبة، أو إبراز مقدار التغيير في مستوى النمو القدراتي المحقق بعد تعلم ما، وهو مرتبط بالتقويم، للإشارة إذا كان الهدف الإجرائي ينصب على سلوكات القابلة للملاحظة، فإن الكفاءة ترتكز على المعرفة الفعلية والمعرفة السلوكية، وعليه في نص الكفاءة لا نطلب من التلميذ(أن يكون قادرا على إنجاز نشاط ما) بل نطلب منه إنجاز النشاط (القيام بالفعل).

6) أنواع الكفاءات:

نظرا لأهمية الكفاءات فقد تعددت أنواعها[20] وأشكالها وفق توجيهها، وتتمثل في:

أ: كفاءة المعرفة: (compétence connaissance):

لا تقتصر الكفاءات المعرفية على المعلومات والحقائق، بل تمتد إلى امتلاك كفاءات التعلم المستمر، واستخدام أدوات المعرفة، ومعرفة طرائق استخدام هذه المعرفة في الميادين العلمية.

ب: كفاءات الأداء (compétence de performance)

وتشتمل على قدرة المتعلم على إظهار سلوك لمواجهة وضعيات مشكلة ما، إذ أن الكفاءات تتعلق بأداء الفرد لا بمعرفته، ومعيار تحقيق الكفاءة هنا هو القدرة على القيام بالأداء المطلوب.

ج: كفاءات الإنجاز أو كفاءات النتائج (compétence des résultats)

امتلاك الكفاءات المعرفية يعني امتلاك المعرفة اللازمة لممارسة العمل دون أن يكون هناك مؤشر على أنه امتلاك القدرة على الأداء، وأما امتلاك الكفاءات الأدائية فيعني التمكن من إظهار قدراته في الممارسة دون وجود مؤشر يدل على القدرة على إحداث نتيجة مرغوبة في أداء المتعلم، ولذلك يفترض مثلا أن المعلم صاحب كفاءة إذا امتلك القدرة على إحداث تغيرات ونمو في سلوك المتعلم.

د. الكفاءات النوعية:

ويعرفها محمد الدريج بأنها « الكفاءات المرتبطة بمجال معرفي أو مهاري أو وجداني محدد، وهي خاصة لأنها ترتبط بنوع محدد من المهام، وانطلاقا من ذلك، فإن الكفاءة النوعية هي الكفاءة المرتبطة بمهام أو فئة من المهام التي تندرج في إطار مواد دراسية أو مجالات تربوية أو ميادين للتكوين[21] ومن أمثلة الكفاءة النوعية:

- القدرة على حسن الإنصات.
- القدرة على حسن القراءة.

وفيما يلي: سنقدم أمثلة تطبيقية عن الكفاءة النوعية.

هـ. الكفاءة النوعية الخاصة في مجال اللغة:

من خلال المقابلة بين المشروع الفرنسي، الذي وضعته CE.P.E.C سنة 1991 والمشروع البلجيكي، الذي يبحث في الكفاءات سنة 1991، يلاحظ تركيز كليهما على نفس الكفاءات في تعلم اللغة، وهي على ما يبدو

كفاءات أساسية بالنسبة لتعلم كل اللغات ويمكن اختزال ما يرتبط بالأخيرة في المشروع البلجيكي في الشكل التالي:

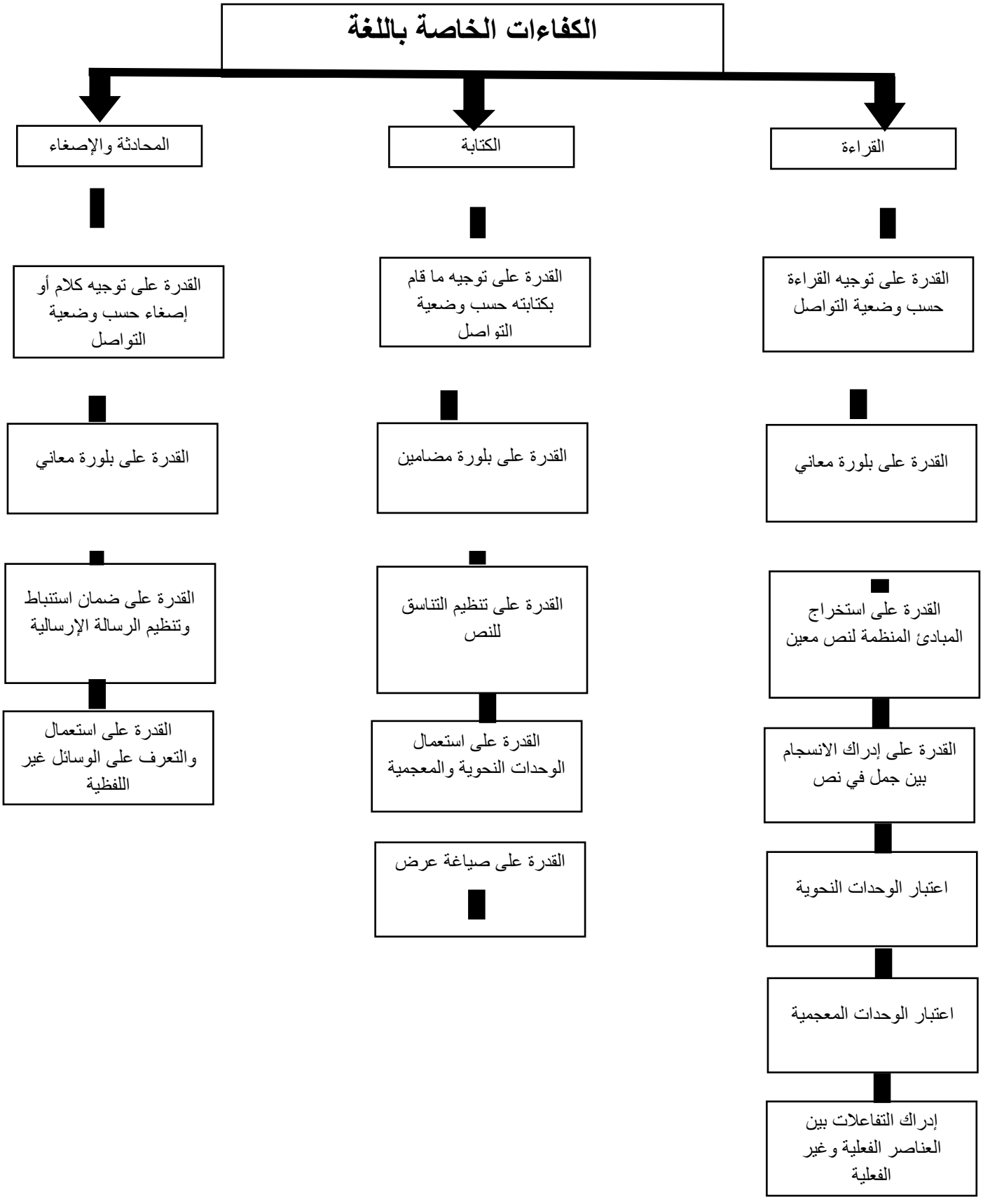

شكل هيكلي للكفاءات الخاصة باللغة

لقد تميز المشرع البلجيكي بتحديده الدقيق لمفاهيم الكفاءات المرغوب إكسابها للمتعلم في مختلف المواد الدراسية، بما فيها اللغات ، كما يحدد الشروط التي يتم فيها اكتساب هذه الكفاءات والوسائل المستثمرة في ذلك؟

كفاءة القراءة:

وتعني إكساب المتعلم القدرة على بناء معنى باعتباره (القارئ/التلميذ) مستقبلا لإرسالية مكتوبة (قصة، حكاية، رواية، مسرحية، قصيدة، أغنية، رسالة، مقال....)أو لإرسالية: مرئية(صورة ثابتة أو متحركة: رسوم، لوحات، ملصق...) وتحدد المعاني التي يتم بناؤها بوجود تفاعل بين

- خصائص الإرسالية (صلب الموضوع أو بنياته).
- المكتسبات القبلية للقارئ (اللسانية، الأدبية، الفنية ، التاريخية...)
- خصوصيات الوضعية (أو السياق) التي يعالج فيها القارئ الإرسالية.

و. كفاءة الكتابة:

وتعني قدرة المتعلم على إنتاج أو إعادة انتاج معنى، وذلك بوجود تفاعل بين ما يلي:

- خصوصيات الإرسالية (بتوضيح الاهتمام الغالب عليها ونوعية البنيات التي تكونها).
- المكتسبات القبلية أو رصيده (التلميذ/الكاتب) بما فيها معارفه اللسانية، الأدبية، الفنية والتاريخية.
- خصوصيات الوضعية (أو السياق) التي يعالج فيها المرسل أو المستقبل للبلاغ.

ل. كفاءة التحاور:

وتعني القدرة على التحدث، التعبير عن الأفكار بواسطة الكلمة وحركة الجسد، أي إنتاج معنى، باعتبار المتكلم (التلميذ) مرسلا لبلاغ.

7) مستويات الكفاءة وفق مسار التعلم:

أ: الكفاءة القاعدية:(compétence de base) هي مجموعة نتائج التعلم الأساسية المرتبطة بالوحدات التعلمية، وتوضح بدقة ما سيفعله المتعلم، أو ما سيكون قادرا على أدائه والقيام به في ظروف معينة، ولذا يجب على

المتعلم أن يتحكم فيها ليتسنى له الدخول دون مشاكل في تعلمات جديدة ولاحقة، فهي الأساس الذي يبني عليه التعلم.[22]

ب: الكفاءة المرحلية: (compétence d'tape): وهي مرحلية دالة تسمح بتوضيح الأهداف الختامية لجعلها أكثر قابلية للتجسيد، تتعلق بشهر أو فصل أو مجال معين وهي مجموعة من الكفاءات القاعدية، كأن يقرأ المتعلم جهرا و يراعي الأداء الجيد مع فهم ما يقرأ.

ج: الكفاءة الختامية: (**compétence finale**): إنها نهائية تصف عملا كليا منتهيا، تتميز بطابع شامل وعام، تعبر عن مفهوم إدماجي لمجموعة من الكفاءات المرحلية، يتم بناؤها وتنميتها خلال سنة دراسية أو طور، مثلا في نهاية الطور المتوسط يقرأ المتعلم نصوصا ملائمة لمستواه ويتعامل معها، بحيث يستجيب ذلك لحاجاته الشخصية والمدرسية والاجتماعية.

د: الكفاءة الاستعراضية: (compétence transversal)

هي مجموعة المواقف التعلمية والخطوات الفكرية والمنهجية المشتركة بين مختلف المواد، والتي يجب اكتسابها وتوظيفها أثناء إعداد مختلف المعارف، أو حسب الفعل ذلك أن التحكم بالكفاءات العرضية يرمى إلى دفع المتعلمين نحو التمكن من التعلم في استقلالية متزايدة، فالقراءة والكتابة هي أدوات الأداء في كل الأنشطة والمواد حيث إن الاهتمام بتطوير الكفاءات العرضية أو الأفقية، يأتي في سياق العمل على تحقيق نوعين من التحولات الأساسية في عملية التعلم هما:

1- التحول من التعلم الذي يركز على المواد ومحتوياتها إلى تعلم يركز على المتعلم.

2- التحول من التعلم الذي يركز على المكتسبات (الوسيلة). نحو تعلم يركز على القدرة على الفعل(الغاية) وإمكانيات الفعل في سياق معين.

هـ: الكفاءة التربوية:

إن مصطلح الكفاءة يعتبر حديث التداول في المجال التربوي البيداغوجي[23] وهي أن يكتسب المتعلم معارف متنوعة ويتعلم كيفية الاستفادة منها في الحياة، كأن ينتج نصوصا من مختلف أشكال التعبير، ذات دلالة لغرض الاتصال بالغير، ولا يكتفي باكتساب المعارف المتعلقة ببيئته بل أن يقدر على العمل من أجل صيانة هذه البيئة، وذلك حتى يستطيع المتعلم التكيف والتفاعل مع المحيط بإيجابية.

والذي يتضمن محتوى وتنظيم الخبرات وطرائق التدريس والتقويم، وفي الوقت نفسه، لا يمكن أن تعمم نظرية الأهداف على جميع مراحل التعليم من جهة، ولا على جميع موضوعات الدراسة من جهة، ولا على جميع موضوعات الدراسة من جهة أخرى، إذ أن المرحلة الابتدائية التي تعتبر من أصعب و أخطر مراحل التعليم، لا يمكن لها تحديد كل أنواع

السلوكات المحتمل ممارستها من قبل المتعلم في حصة تعليمية، أو وحدة دراسية معينة لأن تفكير الطفل المادي، يسمح له بتوظيف حواسه كلها لاكتساب مجموعة من الخبرات اللغوية والاجتماعية والجسمية والانفعالية، التي لا يمكن حصرها كلها في أهداف سلوكية.

وعلى الرغم من ذلك كله يمكن تطبيق نظرية الأهداف السلوكية على موضوعات متعددة كاللغات والجغرافية والعلوم إلا أنه لا يمكن التسليم بأن هدف التربية يتوقف عند هذا النحو.

III. بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات

تعد المقاربة بالكفاءات الجيل الثاني من التدريس بالأهداف والامتداد التقويمي له، باعتبارها حركة تصحيحية داخل بيداغوجية الأهداف، وذلك نتيجة الانحراف الذي عرفته المدرسة السلوكية، التي غرقت في النزعة التقنية والسلوكية التجزيئية، على حساب النظرة الشمولية للتدريس[24] وذلك بإخضاعها المتعلمين لآليات التعليم النمطي وسلبهم حرية الإبداع والاختيار والتثقيف الذاتي.

حيث أن تحديد الأهداف وأجرأتها(صياغتها في شكل إجراءات سلوكية) سلط تركيزه على وصف النتيجة النهائية فقط، وذلك في شكل السلوك الملاحظ الذي ينبغي إنجازه من طرف المتعلم، إلا أن هذه النتيجة لا تفصح عن التغيرات الداخلية التي يحدثها النشاط في نفسية المتعلم، هذا إضافة إلى أن صياغة الأهداف مع كونها واضحة ومحدودة ومقبولة، لكنها لا تخبرنا في الحقيقة عن المواطن التي يتحكم فيها المتعلم، من معارف ومكتسبات وما سيوظفه من خطوات (عمليات العقل) فإذا كان نموذج التدريس الهادف الذي يتبنى التصور السلوكي كفلسفة تربوية يختزل مكتسبات التلاميذ التعليمية التعلمية في العمل على تحقيق متتالية من الأهداف السلوكية التي تعمل على تفتيت النشاط البيداغوجي إلى الحد الذي يجعل المتعلم عاجزا على تبيان ما هو بصدد بلوغه ويصعب معرفة مغزى نشاطه، فإن المقاربة بالكفاءات لا تعتبر سلوكا انعكاسيا، أي ردة فعل شرطية كما يراه السلوكيون بل هي سلوكات مؤداها اكتساب القدرة على الإنجاز والتصدي للمشاكل لذلك عرف (v de lande sheere) فيفان دولاند شير الكفاءة بكونها تعبير عن القدرة على إنجاز مهمة معينة بشكل مرض.[25]

1) خصائص بيداغوجيا الكفاءات:

تعتبر بيداغوجيا الكفاءات التعليمية مفهوما يتميز بالخصائص الآتية:

- الكفاءة محطة نهائية لسلك دراسي أو لمرحلة أو تكوين.

- الكفاءة مفهوم شامل ومدمج، أي يقتضي اكتساب تعلمات في المجالات الثلاثة المعروفة (المجال المعرفي والمجال الوجداني والمجال الحسي الحركي) حسب أهمية كل مجال للاستجابة لحاجيات الفرد الاجتماعية منها والثقافية والاقتصادية.

يمكن تقويم الكفاءة من خلال سلوكات قابلة للملاحظة، وذلك من خلال مؤشرات إجرائية، أي خلال ما يقوم به الفرد من إنجازات تؤثر على حصول الكفاءة و تحققها.

هكذا، يمكن أن نستنتج وبدون أي ريب، أن بيداغوجيا الكفاءات على غرار بيداغوجيا الأهداف، نشأت في إطار الطرح الصناعي والتكنولوجي الذي يسعى إلى تحقيق الفعالية والمردودية بل يمكن القول إن تبني العديد من المنظومات التربوية لبيداغوجيا الكفاءات (الجزائر وتونس والمغرب وفرنسا وبلجيكا وغيرها...) يعتبر خطوة هامة ليس فقط للاستجابة لمتطلبات المجتمع من موارد بشرية واقتصادية، ولكن أيضا لملء الثغرات التعلمية التي كشف عنها علماء التربية بالنسبة لبيداغوجيا الأهداف.

إن نموذج التدريس بالكفاءات يعتبر من هذا المنطلق، امتداد طبيعيا لنموذج التدريس بالأهداف" إن تحديد الأهداف و أجرأتها والعمل على تحقيقها لدى التلميذ، يرمي أساسا إلى تحقيق الكفاءة ومن الممكن أن نستدل على العلاقة بين الكفاءة والهدف الإجرائي من خلال تقديم مثال نموذجي عن تخطيط الدرس انطلاقا من بيداغوجيا الكفاءات:

مثال يوضح أسلوب تمكين التلاميذ من اكتساب الكفاءة النصية:

الكفاءة النصية:

التلقي والاكتساب

عند نهاية الوحدة الدراسية يكون التلميذ قادرا على تعيين السمات التي يتميز بها الخطاب السردي.

التلقي والاكتساب:

المستوى الأول: انطلاقا من نص حكائي، يعين المتعلم الشخصيات التي تقوم بالأفعال وسياق وتفاعلها في الزمان وفي المكان.

المستوى الثاني: بعد قراءة نص حكائي، يستطيع المتعلم أن يقدم رسما يوضح فيه بنية تطور الحدث وتصميمه.

المستوى الثالث: عند قراءة نص حكائي، يستطيع المتعلم تأويل الدلالات التي يشير إليها الحدث اجتماعيا ونفسيا.

المستوى الرابع: يستطيع المتعلم أن يستخرج من قصة الخصائص المميزة للغة السردية.

المستوى الخامس: إذا قدم للمتعلم نصا سرديا، يكون قادرا على تعيين خصائصه السردية باعتباره خطابا متميزا عن غيره من الخطابات.

لا يتعلق الأمر في بيداغوجيا الكفاءات بما سيحققه المتعلم في نهاية الحصة، كما هو معروف في بيداغوجيا الأهداف ولكنه يتعلق بما سيكون هذا المتعلم أو ذاك قادرا على فعله في نهاية الوحدة الدراسية، من هنا يتضح أن الانتقال يتم من مستوى القدرة 01 إلى مستوى القدرة 2 وهكذا .... ما يدل على أن الكفاءة قيمة تتحقق على مستوى أبعد وأطول وليس على مستوى آني.

2) الفرق بين الهدف والكفاءة:

في علاقة الهدف بالكفاءة نرى أن الهدف يدل على النجاح في المدرسة بغض النظر عما بعدها، أما الكفاءة فتدل على امتدادها خارج المدرسة، ففي الكفاءة يكون المتعلم قادرا على توظيف مكتسباته و خبراته في وضعيات معقدة أو طارئة فمعيار الهدف هو مدى إمكانية اكتسابه الآني وفهمه، أما معاير الكفاءة فهو مدى قابلية المكتسبات للتحويل والاستثمار في الوضعيات المعقدة أو الطارئة.

انطلاقا من هذا الفرق الجوهري بين المفهومين، فإن الأهداف التربوية تركز على وصف النتيجة النهائية للتعلم داخل الفصل الدراسي، أي الاهتمام بالسلوك الخارجي، أما الكفاءة فتهتم بالتغيرات الداخلية التي يحدثها الإنجاز في نفسية المتعلم، مما يضمن امتداد تحقق الهدف إلى ما بعد الحصة الدراسية و يتضح ذلك من خلال الفروق التي يبرزها الجدول التالي:

بيداغوجيا الأهداف	بيداغوجيا الكفاءات.
– تنطلق من هدف محدد – تنطلق من هدف عام، تتم تجزئته إلى أهداف خاصة وإجرائية. – تركز على تنمية السلوك. – تركز على جهد المعلم والمتعلم. – المدرس هو المالك الفعلي للمعرفة. – يتدخل باستمرار. – يرافق التقويم العملية التعليمية من البداية. – المتعلم يستجيب لمثيرات الموقف التعليمي المحيطة. – سلبي. – له حوافز تتحكم فيها تدعيمات المحيط الخارجي تمتاز بخاصية التجزئة .	– لا تنفي ضرورة تحديد الأهداف. – لا تنطلق من أهداف عامة تسمى كفاءات (كفاءة الفهم، كفاءة التحليل، كفاءة التركيب...) – تركز على جهد المتعلم. – يعد المدرس وسيطا بين المعرفة والمتعلم. – يسهل عملية التعلم الذاتي. – يهتم التقويم بالسيرورة التعليمية من البداية إلى النهاية. – يساهم المتعلم في عملية بناء المعرفة أو الكفاءة المتعلم يكون إيجابيا وفعالا. – للمتعلم حوافز مرتبطة بتصوره للمهمة وبقدراته الذاتية ويحقق الأهداف حسب ما يبذله من جهد.

الهوامش:

[1] محمد الصابر، استراتيجية الدرس، دار البيضاء، المغرب، دار قرطبة للنشر، ط1، 2000، ص07-08.

[2] محمد ابن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صابر بيروت، د ت، ج1، ص140.

[3] ينظر: فاطمة الزهراء، بوكرمة، الكفاءة مفاهيم ونظريات، مرجع سباق، ص135.

[4] من أشهر الباحثين في مفهوم الكفاءة، مجموعة developpement en pedagogie)) التي تعمل لحساب جامعة : de bock universite، الكائن مقرها ببروكسل، والتي تعمل بالتنسيق مع جامعات فرانكفونية في كل من كندا، فرنسا، سويسرا، بلجيكا، حيث تتخصص أبحاث هؤلاء في البيداغوجيا ويغلب على اصدارتها طابع التأليف الجماعي.

[5] ينظر: فاطمة الزهراء، بوكرمة، الكفاءة مفاهيم ونظريات، مرجع سباق، ص135.

[6] ينظر: المرجع نفسه، ص109.

[7] المرجع نفسه، ص109.

[8] المرجع نفسه، ص 110.

[9] ينظر: المرجع نفسه، ص135.

[10] ينظر: المرجع السابق، ص17.

[11] عبد الرحمان التومي، الكفاءات: مقاربة نسقية ، وجدة، المغرب، مطبوعات الهلال، 2003، ص73-74.

[12] المرجع نفسه، ص 74.

[13] وزارة التربية الوطنية، سلسلة موعدك التربوي، المقاربة بالكفاءات كبيداغوجية إدماجية، العدد 17،مركز التوثيق التربوي، د ت، ص08.

[14] ينظر: عبد الرحمان التومي، الكفاءات مقاربة نسقية، ص 75-74.

[15] ينظر: بن دريدي فوزي، الوافي في التدريس بالكفاءات، دار الهدى، 2002، ص39-40.

[16] ينظر: المرجع نفسه، ص41.

[17] عبد اللطيف الفارابي وعبد العزيز الغرضاف، كيف تدرس بواسطة الأهداف، درا الخطابي، 1989، الرباط، ص30.

[18] ينظر: المرجع السابق، ص31-32.

[19] ينظر: المرجع نفسه، ص32.

[20] ينظر: عزت جرادات، التدريس الفعال، مكتبة دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1993، ص51-52.

[21] التومي عبد الرحمان، ملوك محمد: « المقاربة بالكفاءات، بناء المنهاج وتخطيط التعلمات» المغرب وجدة، مطبوعات الهلال، ط1، ص19.

[22] ينظر: فاطمة الزهراء بوكرمة، الكفاءة مفاهيم ونظريات، ص 138.

[23] ينظر: المرجع السابق، ص 139.

[24] ينظر فاطمة الزهراء بوكرمة، الكفاءة مفاهيم ونظريات، ص8.

[25] ينظر، المرجع السابق، ص 8-9.

قائمة المصادر والمراجع:

1.أوحيدة علي، التدريس الفعال بواسطة الكفاءات، باتنة الجزائر، مطبعة الشهاب، 2006.

2.التومي عبد الرحمان، ملوك محمد، المقاربة بالكفاءات: بناء المناهج وتخطيط التعلمات، المغرب، وجدة، مطبوعة الهلال، ط1، دت.

3.عبد الكريم غريب، استراتيجيات الكفاءات وأساليب تقويم جودة تكوينها، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، 2003.

4.عبد اللطيف الجابري، إدماج وتقييم الكفاءات الأساسية، الدار البيضاء المغرب، دار العلم، 2009.

5.لكحل لخضر، أساسيات التدريس بالكفاءات، الدار البيضاء المغرب، مطبعة النور، 2009.

6.محمد بوعلاق، الهدف الإجرائي، تمييزه وصياغته، البليدة الجزائر، قصر الكتاب، 1999.

7.محمد بوعلاق ، مدخل لمقاربة التعليم بالكفاءات، البليدة الجزائر، قصر الكتاب، 2004.

8.محمد الدريج، الكفاءات في التعليم، المغرب، الدار البيضاء، منشورات رمسيس، 2000.

9.محمد الراجي، الكفاءات التعلمية، المغرب، الدار البيضاء، منشورات رمسيس، 2007.

10.محمد الصابر، استراتيجيات الدرس، الدار البيضاء المغرب، دار قرطبة للطباعة والنشر، 1999.

11.محمد الطاهر وعلي، كيفية التدريس بالكفاءات، الدار البيضاء المغرب، مطبعة النجاح الجديدة 2006.

12. محمد فاتحي، مناهج القياس وأساليب التقييم، منشورات ديداكتيكا، الدار البيضاء المغرب، 1995.

13.محمد فاتحي، تقييم الكفاءات، دار البيضاء المغرب، منشورات عالم التربية ومطبعة النجاح، ط1، 2004.

14. محمد مكسي، الاستراتيجيات تعليمية التعلمية والكفاءات، الدار البيضاء المغرب، الدار العلمية للكتاب 2005.

15. منسي محمود، عبد الحليم، علم النفس التربوي، دار المعرفة، ط1، ج، م، ع، 1998.

16.خالد المير و ادريس قاسمي، الطرائق البيداغوجية، بيداغوجيا الأهداف، الدار البيضاء، المغرب، مطبعة النجاح 1998.

17.عبد الرحمان التومي، الكفاءات: مقاربة نسقية، وجدة المغرب، مطبوعات الهلال، 2003.

18. فاطمة الزهراء بوكرمة، الكفاءات مفاهيم ونظريات، المغرب الرباط، دار الخطابي، 1999.

19.بن دريدي فوزي، الوافي في التدريس بالكفاءات، دار الهدى، المغرب، 2002.

20.بن عيسى احسينات، من بيداغوجيا الأهداف إلى بيداغوجيا الكفاءات، موقع التجديد العربي، 2008/07/03. www.arabrenewal.org.

21.عبد اللطيف الفارابي وعبد العزيز الغرضاف، كيف تدرس بواسطة الأهداف، درا الخطابي، 1989، الرباط.

22.عزت جرادات، التدريس الفعال، مكتبة دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1993.